مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة

العدد الخامس

1988م.

- المعارف اللازمة للداعية
- المحاولات الإستعمارية لتقويض الإسلام في الجزائر
- منهج الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي
- الفكر التربوي بين الأصالة والتغريب
- جامعة الزهراء جامعة علمية يخسرها العالم الإسلامي

التنشئة الاجتماعية

مفهومها وسائلها

الدكتور: عبد الله النعيمي

أهمية التنشئة الاجتماعية:

تستند أهمية التنشئة الاجتماعية إلى مجموعة من الأسس، كالأساس البيولوجي، والنفسي، والاجتماعي، والقيمي، وليس الهدف التعرض في هذه العجالة لمناقشة تلك الأسس، وإنما الغرض الإيماء إلى بعض الاعتبارات التي تبرز وتوضح تلك الأهمية، ولعل من أهمها ما يأتي:

1- حرص المجتمع على تكوين الإنسان السوي:

إنَّ على رأس قمة أهداف المجتمع صنع هذا الإنسان، ومن أجل هذا يهيء المجتمع المتقدم والنّامي المناخ التربوي الشامل بما يحتويه من مؤثرات مادية ومعنوية لكي ينمو الإنسان نمواً كاملاً فيكون تتابع تلك التنشئة، متمثلاً في الشخصية الاجتماعية السوية وهذا لا يتأتى إلا باهتمام ورعاية المهد الأول وتضافر بقية العوامل الأخرى المؤثرة في التنشئة، وأن تأثير المرعى الأول للطفل يعد من أهم العوامل حيث نجد كثيراً من خبرات الطفولة وبخاصة في سن المهد،

والطفولة المبكرة تظل آثارها باقية ما بقي الإنسان، وتصارع كل جديد محاولة قهره أو تطويعه، وكثيراً ما تنجح في هذا، ذلك أن الجديد وهو يصارعها لا يعرف بالضبط كنهها أو ماهيتها، وكأنه في حربه معها يحارب عدواً مجهولاً أو عدواً في الظلام فأساليب الرضاعة المتقطعة مثلاً، وطرق الفطام المفاجيء أو غيرها قد تكون نواة لاتجاهات عميقة الجذور بعيدة المنال ضد تعديل الاتجاهات في المستقبل إلاّ بأساليب معينة كالعلاج النفسي[1].

ويتضح من هذا وغيره مدى تأثير مرعى الطفولة الأولى في سلامة وعدم سلامة سلوك الفرد والجماعة لأن الشخصية السوية أو غير السوية هي عبارة عن نتاج التفاعل الذي يحدث للفرد من خلال الخبرات الأولية التي يتلقاها في مراحل حياته الأولى التي يبقى تأثيرها في الغالب طيلة حياته.

وهذا يستدعي المتابعة المستمرة للعوامل التي تؤثر في بناء الإنسان السوي لمعرفة جوانب القوة فندعمها وعوامل الضعف فنبادر بالقضاء على أسبابها.

وبهذا نجني تنشئة اجتماعية سليمة فنضمن للمجتمع طاقات إنتاجية، ونحفظ للمجتمع سلامته وطمأنينته ونوفّر الجهد والوقت والمال الذي يهدره المجتمع في حالة التفريط أو الإهمال في ميدان التنشئة الاجتماعية.

2 ـ التغيرات الاجتماعية السريعة:

من أهم ملامح هذا العصر التغيرات المتلاحقة التي تميزت بها الحياة المعاصرة في جميع مجالاتها الاقتصادية، والعلمية والتربوية والاجتماعية وما نتج عنها من مردودات إيجابية وسلبية، استهدفت العلاقات الفردية والاجتماعية فكل هذا وغيره كان نتيجة للتقدم العلمي التكنولوجي الذي أصاب حياة الفرد والمجتمع، وغير من أسلوب حياتهما مادياً ومعنوياً، ونال هذا المجتمعات المتقدمة والنامية على السواء ولكن بدرجات ونسب مختلفة، كالتغير الذي استهدف الأسرة وتركيبها وقلّص من وظائفها الأساسية، حيث لم يبق لها الوعاء الزمني الكافي للقيام

(1) د. محمود عماد الدين إسماعيل وآخرون، كيف نربي أطفالنا التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة، القاهرة: دار النهضة العربية 1967 م ص 63.

بمسؤولياتها نحو تنشئة أبنائها تنشئة سليمة ولهذا استعاضت الأسرة عن تلكم الرسالة بإنابة المدرسة لتتحمل مسؤوليات وأعباء تربية الأجيال، والمدرسة وإن تحملت تلك المسؤولية إلّا أنها بدون مواكبة ومشاركة الأسرة لها في هذه الرسالة فإنَّ الأهداف التربوية المرغوبة للمجتمع لا يمكن أن تحقق بالصورة المطلوبة لعدم قدرتها على متابعة واستيعاب ما يستجد من أحداث في مجال العلوم الطبيعية والإنسانية، فضلاً عن قصور مشاركة أو عدم مشاركة الأسرة في هذه المهمة وهذا ناتج من أنَّ (كمية الفكر المختبر تنمو وتبشر بأنْ تنمو بمزيد من السرعة قد تبلغ نسبة هندسية)... إنَّ حقيقة التغير المتصل السريع المتزايد في السرعة يخلق للعالم مشكلة جديدة بالغة الصعوبة وذلك أن التقدم المادي للمدينة يهدد بأن يسبق قدرتنا الاجتماعية والأخلاقية على تناول المشكلات الناتجة، وقد ظهرت فعلاً نتيجة لها مغزاها وهي أن شبابنا لم يعد يتقبل الأخلاق الأتوقراطية فيلزمنا إذن أن نبني وجهة نظر وأنْ نبتكر نظاماً يسايرها، ويأخذ في الاعتبار حقيقة التزايد المستمر في سرعة التغير، فإن لم نفعل فالمدينة ذاتها تصبح مهددة[2].

فالتغيرات المتلاحقة غيرت طبيعة الحياة، ومن الطبيعي أن تصاب بآثار هذا التغير المؤسسات التربوية المنوطة بها مسؤولية التنشئة الاجتماعية، ومن أجل هذا ينبغي أن لا نقف أمام هذه المؤثرات موقف المنبهر والمتحسر بل ينبغي أن نواجه ذلك التيار بحماية وصيانة مصادر التنشئة الاجتماعية بكل الوسائل المادية والمعنوية، فعلى سبيل المثال فالمصدر الأول وهو الأسرة يؤدي تصدعها وتفككها ـ لدى كثير من المهتمين في هذا المجال من أهم الأسباب ـ إلى إيجاد الإنحراف في سلوك الأحداث، وتفشي الأمراض النفسية وعدم التوافق والتكيف الاجتماعي[3].

3 ـ تأثير الإعلام الحديث في تكوين شخصية الطفل:

أثر وتأثير الإعلام في تكوين شخصية الطفل ناتج أيضاً عن التقدم العلمي

---

(2) وليم كلبا تربك، المدينة المتغيرة والتربية، ترجمة د. عبد الحميد السيد وآخرون القاهرة: مكتبة مصر، ص45-46.

(3) د. صلاح الدين جوهر، نحو بيئة تربوية أنقى للإنسان العربي، حولية كلية التربية جامعة قطر، العدد الثاني، السنة الثانية، 1983، ص 34-35.

والتقني الذي يشهده عصرنا الحاضر حتى أضحى عاملاً مؤثراً في تشكيل حياة الإنسان بصفة عامة وحياة الطفل بصفة خاصة.

فالإعلام بإمكاناته المتعددة المتنوعة يسهم بإيجابية في حياة الإنسان الدينية والخلقية والعلمية والثقافية والاجتماعية والترويحيّة، ولكنّه كغيره من بقية العوامل الحضرية له إيجابيات وسلبيات في الأفراد والمجتمعات، فقد بدا واضحاً من الملاحظات العادية اليومية، ومن نتائج الدراسات في هذا المجال مدى تأثير هذا العامل في حياة المجتمع، فالطفل الحديث يعيش ويتفاعل منذ بداية إدراكه مع الخبرات الهادفة وغير الهادفة التي يمتصها من خلال أجهزة الإعلام المختلفة، وبذا أضحى الإعلام من عوامل تكوين وتشكيل حياة وشخصية الإنسان بكل أبعادها العقلية والانفعالية والاجتماعية، غير أنّ بعض المختصين في مجال الإعلام (لا يدركون عمق الأثر الذي تتركه الكلمة والحركة والسكنة في تشكيل العقول، ولا يحسون بخطورة القيم والاتجاهات الجديدة التي يزرعونها في نفوس الناشئة والبالغين على السواء، إنّ ما تبثه هذه الأجهزة، وما تنشره يومياً قد تسلل إلى كل أسرة، وتعمق أثره في نفوس الناشئة والكبار ولم يعد هناك مجال لإنكار هذا الأثر أو التقليل من خطورته).

ونحن إن كنا لا نوافق على أن تنفصل الأسرة والمدرسة من مسؤوليتهما التربوية إلا أننا نعترف بأنه قد بات عسيراً عليهما القيام بهذه المسؤوليات على الوجه الأكمل بينما هناك أجهزة ومؤشرات أخرى تعمل في الاتجاه المضاد[4].

فالإعلام صحب معه إيجابيات الحياة المعاصرة كما صحب معه أيضاً سلبياتها التي بدا تأثيرها ملموساً في العزوف أو عدم التمسك بالقيم الدينية والخلقية والاجتماعية، وبهذا ظهرت النداءات المتكررة من قبل المربين والمصلحين الاجتماعيين، ودعوتهم الملحة لعلاج هذه الظاهرة الخطيرة ويرى هؤلاء أنه (قد فقد الآباء قدرتهم على توجيه الأبناء وفلت زمام التلاميذ من أيدي المعلمين فأصبحوا عاجزين عن تعليمهم مبادىء القيم والأخلاق والسلوك الاجتماعي المقبول، وفقد رجال الدين قدرتهم التقليدية على شد انتباه الجماهير

(4) د. محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، القاهرة: دار المعارف 1963، ص 49.

والتأثير في عقولهم ووجدانهم[5]).

ومن البديهي أن سبب وجود هذه الظاهرة لا ينفرد به الإعلام وحده بل شاركه ويشارك في إيجادها عدة عوامل أخرى كالأسرة والبيئة الاجتماعية بمختلف وسائلها، التي يتشرب منها الأطفال والشباب القيم التي تبعث فيهم الدوافع للقيام بالسلوك الاجتماعي غير المقبول.

4 ـ زيادة نسبة انحراف الأحداث:

الاعتبار الرابع الذي يستدعي الاهتمام بموضوع التنشئة الاجتماعية ما يشهده مجتمعنا من إنحرافات الأحداث شملت أشنع الجرائم كالقتل، وهتك العرض وإدمان الخمور، والمخدرات والسرقة وغيرها، وهذه الحوادث تحدث دوماً وهذه الظاهرة تعتبر خطيرة تستدعي الاهتمام وتتطلب الدراسة العلمية الهادفة، للوقوف على أسباب وقوعها وانتشارها في المجتمع، ولا شك أنّه على الرغم من أن هناك عدة أسباب أو عوامل أدّت إلى وجودها وانتشارها إلاّ أنّه يبدو أنّ من أهم أسباب انتشارها قصور الأسرة والمدرسة وعجزهما عن تأدية رسالتهما في صناعة وتكوين الناشئة وهذا يتلاءم وما هو معروف في هذا المجال من (أنّ الجانح الحدث مصنوع لا مولود وهو في الوقت نفسه أسهل من الكبار قيادة وتوجيهاً وإصلاحاً، فالعلماء يؤكدون في مجموعهم أنّ الإجرام غير موروث وأنّ الحدث الصغير لا يقبل على الجنوح في الأغلب إلاّ بتأثير البيئة الفاسدة والأحوال الرديئة المحيطة به، وليس هو في الواقع جانياً أو شريراً كما يعتقد البعض خطأ بل نتيجة الظروف السيئة ولا سيما الإهمال والحرمان[6]).

وهكذا تتضح أهمية التنشئة الاجتماعية والرعاية التربوية السليمة التي تتطلب اليقظة والحرص واستمرار المتابعة التي من شأنها أن تساعد على تلافي الأخطاء وتمنع الإنحراف أصلاً، والعمل على تعديل وتغيير السلوك غير السوي في بداية أطوار نشأته الأولى قبل أن يصبح طبيعة وجبلة ثانية في شخصية الناشيء

---

(5) د. صلاح جوهر، المرجع السابق، ص 34.

(6) جميل نصير، انحراف الأحداث، مجلة الأمن العام لعلوم الشرطة، القاهرة 1961، ص 97-98.

قد يصعب اقتلاعها أو تعديلها. وبعد هذه الإيماءة الموجزة عن أهمية التنشئة الاجتماعية يحسن أن أشير إلى مفهوم التنشئة الاجتماعية.

مفهوم التنشئة الاجتماعية:

إن المطلع والدارس في هذا المجال يجد أن هناك تحديدات متنوعة من قبل المتخصصين في هذا الميدان، فنرى بعضهم يعتبرها (عملية تحويل الفرد من كائن عضوي حيواني السلوك إلى شخص آدمي بشري التصرف في محيط أفراد آخرين من البشر يتفاعلون بعضهم مع بعض، ويتعاملون على أسس مشتركة من القيم التي تبلور طرائقهم في الحياة)[7].

ويتصورها البعض الآخر (عملية يكتسب بواسطتها الفرد ثقافة مجتمعه بجميع مقوماتها)[8].

كما نجدمن يحصرها أيضاً في (عملية التفاعل الاجتماعي التي يكتسب فيها الفرد شخصيته الاجتماعية التي تعكس ثقافة مجتمعه[9] ويلاحظ من هذه التحديدات وغيرها أنها تشترك في:

1 ـ التركيز على التفاعل الذي يتبادله الطفل في محيطه الاجتماعي من خلال مواقف الحياة الاجتماعية.

2 ـ التركيز على تهيئة المناخ الملائم كي يستقي الطفل منذ حداثته القيم والعادات والسلوك الاجتماعي الذي به يتحول الفرد إنساناً اجتماعياً.

3 ـ إنَّ هذه العملية يشارك ويؤثر فيها عدة عوامل متداخلة ومتشابكة كالأسرة، والمدرسة والمسجد والنادي والإعلام والمحيط الاجتماعي وغيرها من العوامل ذات التأثير المقصود وغير المقصود.

---

(7) د. فوزية دياب، نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1978 م، ص 110.

(8) د. خضير مسعود الخضير، المرشد التربوي لعمليات رياض الأطفال بدول الخليج العربية (مكتب التربية العربية لدول الخليج) 1986 م، 14 w.

(9) د. منير مرسي سرحان، في اجتماعيات التربية (بيروت دار النهضة العربية) 1981 م، ص 111.

4 ـ إنّ أهداف هذه العملية في النهاية تكوين الشخصية السويّة الذي يطمح المجتمع في تحقيقها وفق مواصفات معينة نتيجة لمروره بخبرات تربوية مقصودة وغير مقصودة. هذا ونظراً لأن عملية التنشئة يشارك فيها عدة عوامل كما سبقت الإشارة إلى ذلك ـ لهذا نجد (أنّ الخبراء المتخصصين يستخدمون تسميات مختلفة للتعبير عن تلك الوظيفة الحيوية من وظائف المجتمع التي تضمن بقاءه واستمراره، فرجال التعليم اصطلحوا على تسميتها ـ التربية ـ وعلماء الاجتماع والاجتماعيون يسمونها ـ التنشئة الاجتماعية ـ أو الصقل الاجتماعي وعلماء الاقتصاد يسمونها التنمية البشرية بينما رجال الإعلام يستخدمون عادة ألفاظاً مثل التوعية أو التثقيف للتعبير عن مدلولات تقترب كثيراً من مدلول لفظ التربية الذي يستخدمه التربويون ورجال التعليم)[10].

ومصدر هذا التباين عائد إلى طبيعة الاختصاص واستخدام هذا المصطلح في مجالات معينة ومواقف معينة، ومثل هذا الاستعمال قد يوحي التباين والاختلاف لمدلول هذا المصطلح، علماً بأنه قد تطور مفهومه وهدفه وفقاً للتغير السريع في الحياة المعاصرة، حتى أصبح يلتقي مع الهدف البعيد للتربية المتمثل في ما يسمى حالياً بفكرة التنشئة الاجتماعية للكبار، وهي التربية مدى الحياة. الفكرة التي تنادي بأن بعيد الكبار تنشئة أنفسهم الاجتماعية لكي يتوافقوا مع الظروف المجتمعية الجديدة، ... بل إن عمليات التنشئة الاجتماعية خلال سنوات النضج يجب أن تكون مطلباً أساسياً في المجتمعات الدينامية الحديثة[11] وبعد هذه الإشارة الموجزة إلى مفهوم التنشئة الاجتماعية نوميء إلى أهم أهداف التنشئة الاجتماعية.

الأهداف العامة للتنشئة الاجتماعية:

نظراً لاختلاف وتباين المجتمعات من حيث النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ودرجة التقدم الثقافي والحضاري، لهذا تختلف أهداف وأساليب

---

(11)د. صلاح الدين جوهر، نحو بيئة تربوية أنقى للإنسان العربي، مرجع سبق ذكره، ص 48.

(10)د. سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1981 م، ص 48.

التنشئة الاجتماعية من مجتمع إلى آخر، ومن خلال العرض الموجز السابق لأهمية التنشئة الاجتماعية، ومفهومها يمكن أن تستقي منها الأهداف التالية:

تزويد الفرد بأسس التنشئة الاجتماعية لتكوين الشخصية الاجتماعية ذات الإنسجام والتوافق والتكيف مع القيم الثقافية والحضارية السائدة في المجتمع. وذلك من خلال:

(أ) تمكين الفرد من ممارسة القيم الدينية والخلقية في المجالات الاجتماعية.

(ب) تزويد الفرد بالقيم والعادات الاجتماعية من خلال المواقف الاجتماعية.

(ج) تزويد الفرد بالمهارات التي تمكنه من القيام بدوره بإيجابية في الحياة الاجتماعية بإيجابية.

(د) تزويد الفرد بالمهارات التي تمكنه من حفظ ونقل التراث الثقافي والحضاري.

(هـ) تزويد الفرد بالمعارف والخبرات التي تصونه من الإنحرافات السلوكية.

هذه من أهم أهداف التنشئة الاجتماعية التي ينبغي أن يسعى المجتمع لتحقيقها في أفراده، من خلال مؤسساته التربوية المختلفة التي تعمل على توصيل مضمون التنشئة إلى أفراد المجتمع.

محتوى التنشئة الاجتماعية:

إن الإطار الذي يدور حوله مضمون أو محتوى التنشئة الاجتماعية يشتمل على عناصر متعددة يتعسر في هذه العجالة التعرض إليها بالتفصيل، ولكن يمكن الإشارة بإجمال إلى العناصر التالية:

1 ـ القيم الدينية والخلقية والثقافية:

إن من أوكد الواجبات التي تقوم وتهتم بها الأسرة العمل على تشرب الطفل ـ منذ إدراكه للأشياء القيم الدينية والخلقية والثقافية المتمثلة في مجموعة

الحقائق والقواعد الدينية والخلقية والعادات الاجتماعية بالطرق والأساليب المناسبة من أجل الهداية إلى الإيمان الذي هو (الأساس الراسخ في التربية الإسلامية وبدونه يشاد البناء التربوي على أسس واهية ينذر دوماً بالإنهيار والدمار، وهي من الواجبات الأساسية لكل المربين في البيت والمدرسة وفي البيئة الاجتماعية. فكل الدروس النظرية منها والعملية مدعوة لأن يظهر للطالب الترابط بين أجزاء الكون وبين البشر وأن لهذا الكون الدقيق الصنع الغني بالعجائب والأسرار خالقاً أعظم هو الله تعالى).

والدين عنصر من أهم عناصر الثقافة ومقوم من مقوماتها بجانبه المعرفي المتمثل في المبادىء والأسس والقواعد العامة والجزئية، وبجانبه السلوكي المتمثل في وظائفه الفردية والاجتماعية، هـذان الجانبـان المعرفي والسلوكي مـرتبطان ومتلازمان لأن الإيمان حقيقة وعلامتها السلوك الفعلي بالممارسة للقيـم التي تسير وتوجه سلوك الأفراد والجماعات نحو الغايات الدنيوية والأخروية.

2 ـ القيم الاجتماعية:

والقيم الاجتماعية متعددة ومتنوعة:

ـ منها ما يتصل بتراثنا الثقافي والحضاري العربي والإسلامي والتركيز على القيم الإيجابية والبناءة من شأنها أن تساعدنـا على تـطوير حيـاتنا الحـاضرة والمستقبلة، التي تبلور إحياء جهاد وكفاح ونضال وانتصارات أمتنا العربية في جميع المجالات والميادين والمواقف المضيئة في الماضي والحاضر المضيئة التي من شأنها أن تساعد على حفز الأجيال ودفعهم إلى إحياء جذوة الكفاح والجهاد ضد الاستعمار والصهيونية وكل عوائق التقدم.

ـ ومنها ما يتصل بالعلاقات الاجتماعية كالتعاون والتكـافل الاجتـماعي والعدالة الاجتماعية، ومشاركة المرأة في الميادين الاجتماعية وأداء دورها أسوة بالرجل وغيرها من القيم الاجتماعية الأخرى[13].

---

(12)د. محمد فاضل الجمالي، نحو تربية مؤمنة (تونس) الشركة التونسية للتوزيع 1977 م، ص 43.

(13)د. نجيب اسكندر وآخرون، قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية (القاهرة مكتبة النهضة المصرية) 1960 م، ص 36.

- القيم الثقافية والمكون الثالث من مكونات محتويات التنشئة الاجتماعية القيم الثقافية، وهذا الجانب متضمن لجميع المثل والقيم الفردية والاجتماعية الدينية والخلقية والاقتصادية والصحية والترفيهية وغيرها من القيم التي تدخل في إطار المفهوم الشامل للثقافة إذ يشمل هذا المفهوم (حياة الإنسان كفرد وكجماعة من المهد إلى اللحد فمن تربية الطفل وتعلمه اللغة إلى وسائل كسب العيش، وتسخير النباتات والحيوانات واستعمال الآلة، إلى تكوني العائلة وإنشاء العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية إلى تهيئة وسائل الدفاع عن النفس وعن سلامة الجماعة إلى ممارسة وسائل الوقاية والعلاج من المرض إلى تعلم العلوم وتكوين فلسفات ومعتقدات إلى ممارسة العبادة إلى التمتع بالفروسية والألعاب الرياضية والفنون الجميلة من قصص وشعر وتمثيل وموسيقى ورقص شعبي إلى المشاركة في مراسم الأفراح والأتراح للجماعة إلى تكوين العلاقات مع بني الأقوام الغربية والثقافات المتنوعة والتعامل معها[14].

وبهذا المعنى ووفق هذا التحديد الشامل لمفهوم الثقافة يمكن أن نشير بصفة عامة إلى أن محتويات التنشئة الاجتماعية/ الدينية، الخلقية، والاجتماعية تندرج تحت إطار الثقافة بمعناها الشامل، ففي ضوئه نلمس أن الثقافة تدرب الناشيء منذ مراحله الأولى وطيلة أطوار حياته جميع المواقف الاجتماعية، وتتولى تطبيعه على أنماط الحياة السائدة في المجتمع، ومن أجل هذا تحرص أن تجنبه أضرار وأخطار الخبرات الاجتماعية السابقة التي ثبت فشلها، وتبين له مواطن الضلال والفساد فتكشف وتنير له طرق ووسائل الهدى والصلاح، وبهذا يكتسب الفرد خبرات التنشئة الاجتماعية السليمة وتتكون لديه المهارات الاجتماعية للقيام بدوره في حياته اليومية.

وسائل التنشئة الاجتماعية:

يولد الإنسان وله استعدادات وقدرات وإمكانات كامنة فيه أو بالأحرى موجودة فيه بالقوة، وإن وظيفة التنشئة الاجتماعية العمل على إخراجها من القوة

(14)د. محمد فاضل الجمالي، نحو تربية مؤمنة فلسفة تربوية تكاملية لتحقيق مؤمنة مجتمع إسلامي ناهض، مرجع سبق ذكره، ص 22.

إلى الوجود الفعلي المباشر من أجل المحافظة عليها، وتنميتها وصقلها والوصول بها إلى الغايات التربوية الهادفة، وهذا بالطبع لا يتم دفعة واحدة وإنّما يتم بالتدريج شيئاً فشيئاً، وفقاً لقوانين النمو والتعلم. ومرحلة الطفولة المبكرة تعتبر من أهم المراحل لأنها الأساس لتكوين وتنشئة إنسان المستقبل القادر على حمل الأمانة، ويتعرض الناشيء منذ ولادته لكثير من المواقف التي من خلالها يتشرب الأنماط الثقافية للمجتمع الذي نشأ فيه، فلكلٍ مجتمع قيمه وعاداته وتقاليده السائدة فيه والتي بها يتكون ويتطبع الطفل اجتماعياً وباختلاف وتباين القيم والعادات تختلف أساليب التنشئة الاجتماعية في المجتمعات وبهذا كانت (وظيفة التنشئة الاجتماعية هي تشكيل الفرد على صورة مجتمعه وصياغته في القالب والشكل الذي يرتضيه وبذلك تعمل على صيانة التركيب الاجتماعي وعلى تأييده فالاختلاف في القيم والعادات الاجتماعية معناه اختلاف في طريقة التنشئة الاجتماعية وفي النظرة إلى الأشياء وفي الحكم عليها)[15].

هذا وإن مضمون ومحتوى التنشئة الاجتماعية تؤثر في الفرد بعدة وسائل ومن أهم تلك الوسائل:

1 ـ الأسـرة:

إن الأسرة بوظائفها المتعددة، وإمكانياتها المتنوعة، ووسائلها المختلفة تؤثر تأثيراً كبيراً في حياة وشخصية الطفل فهي أول جماعة يتفاعل معها الطفل ويحس من خلالها بالدفء والحنان والتقبل، والاستجابة للآخرين، وكلما هيأت الأسرة المناخ الملائم لتمكين الطفل من بداية مراحل حياته الأولى ساعد هذا في الغالب على اكتسابه مهارات اجتماعية ناجحة في جميع أطوار حياته[16] والطفل عند استجابته للمثيرات البيئية فإنه يمتص عن طريقها أنماط القيم والعادات والتقاليد المرغوبة، وهذا مما يساعده على التأقلم معها ويجعل سلوكه متزناً بحيث لا يتعارض مع النظام السائد في البيئة، وهذا التوافق يمكّنه من إبراز قدراته وإمكاناته الاجتماعية التي تتلاءم وحاجات المجتمع مما يحول بينه وبين السلوك

---

(15)د. فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية (بيروت دار النهضة العربية للطباعة والنشر) 1980 م، ص 43.

(16)د. منير سرحان، في اجتماعيات التربية. مرجع سبق ذكره، ص 17.

المنحرف الذي لا يتوافق مع السلوك الاجتماعي السليم، ومصدر مثل هذا الإنحراف قد يكون ناشئاً منذ البداية من المرعى الأول للطفل لأن الأسرة (تقوم بدور هام في وضع الأسس النفسية للنظم والقانون في حياة الطفل الرضيع، ولو حللنا الكثير من حوادث الاعتداء عند الراشدين لوجدنا أن بعضها يرجع إلى السنوات الأولى من حياة الطفل، فالبيت السعيد هو البيت الذي يرضع فيه الطفل الحب والقانون معاً إلى جانب الحليب، فحب الأم لطفلها بلا نظام ولا قانون يؤدي إلى الفوضى، والقانون المجرد من الحب قسوة وشقاء)[17].

ويتضح من هذا النص التأثير والتأثر للجماعة الأولى التي يتبادل معها الطفل التفاعل لأول مرة، فعلى نوعية هذا التفاعل يتوقف تشكيل وصناعة السلوك السوي أو المنحرف للفرد والمجتمع.

2 ـ رياض الأطفال:

لا شك أن رياض الأطفال بوسائلها المختلفة تقوم بدور مكمل للأسرة في مجال التنشئة الاجتماعية، وأن المواقف التربوية التي تتيحها الروضة المتوافر فيها الإمكانات والوسائل التربوية الهادفة، تفوق المواقف والفرص والوسائل التي تتيحها الأسرة لتنشئة أطفالها، بالإضافة إلى أن الروضة تتيح للطفل فرصة الحياة مع مجتمع الأطفال الذي يشبع من خلاله حاجاته الاجتماعية، حيث تتسع مداركه في هذا المجال الذي تعجز الأسرة عن تلبيتها بنفس الإمكانيات والأساليب المتاحة.

ومن هنا كانت رسالة دار الحضانة بالغة الأهمية في حياة الطفل، إذْ يتعود الطفل الانضباط والنظام والانسجام وكيفية التعامل مع الرفاق، فتتكون للطفل من خلال الأنشطة الفكرة الدينية والخلقية والوطنية (ويظهر ذلك بخاصة في الأناشيد الوطنية التي يتعلمها الأطفال في هذه الدور، وكذلك في الحكايات التي تصور بطولة الأطفال المتفانين في حب الوطن والذود عنه، كما يستمعون إلى قصص دينية متنوعة تجعلهم يكونون فكرة أولية مبسطة عن الحلال والحرام والخير

---

(17)د. محمد فاضل الجمالي، (نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي) تونس الدار التونسية للنشر، 1978 م، ص 292-291.

والشر والملاك والشيطان)[18].

وبهذا يحس الطفل بالفارق الكبير بين حياته في الأسرة ذات الجماعة المحدودة، وحياته في الروضة ذات المجال الفسيح وذات النشاط المتنوع المحبب إلى نفوس الأطفال الذي من خلاله يمتص ثقافة المجتمع.

3 ـ المدرسة:

لقد تعددت وظائف المدرسة وتنوعت في هذا العصر المتسم بسرعة التغير المتلاحق، فلم تعد وظيفتها نقل التراث والمحافظة عليه فحسب، بل أصبحت تقوم بعدة وظائف من أهمها تصفية وتنقية التراث مما يعلق به، والتطبع، والتكيف الاجتماعي، وأحداث التطورات والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية وربط المجتمع المحلي بالمجتمع الإنساني هذا مع العلم بأن المدرسة منذ وجودها باشرت ولا تزال تباشر القيام برسالة التنشئة الاجتماعية، وساعدها على أداء هذا الدور قضاء الأطفال وقتاً كبيراً من حياتهم اليومية بالمدرسة وأدى هذا إلى (أن يكون لأولئك الذين يقابلهم الطفل بالمدرسة تأثير هام على سلوكه بما في ذلك تكوين طريقته في تقييم الأشياء ومواقفه إزاء مختلف المعايير الاجتماعية وسلوكه بوجه عام[19].

4 ـ دور العبادة:

إن لدور العبادة تأثيراً في بناء وتكوين السلوك السوي وتعديل وتغيير السلوك المنحرف، فالمسجد كان ولا يزال من معالم الثقافة الإسلامية والعربية. ورغم أن بعض وظائفه قد تقلصت بحكم تطور المجتمع العربي الإسلامي حيث وزعت تلك الوظائف على مؤسسات متخصصة كالوظيفة التعليمية والقضائية وغيرها إلا أن وظيفته التثقيفية ستظل إلى ما شاء الله يقوم بها، وهذه الوظيفة تعتبر من أهم وسائل التنشئة الاجتماعية لما تتضمنه من وعي بالقضايا الدينية والخلقية والوطنية والاجتماعية، والوعي والدراية والمعرفة بهذه القضايا وبالحرص الدائم والمتكرر على متابعتها من قبل رواد هذه المؤسسة، لا بد وأن يكون له مردوده على الناشئة الذين يؤمون المساجد حيث يتلقون المثل والقيم والعبر الدينية

---

(18)د. فوزية دياب (نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة)، مرجع سبق ذكره، ص 197/195.

(19)د: محمد منير مرسي (أصول التربية الثقافية والفلسفية) القاهرة عالم الكتب، 1977 م، ص 55.

والخلقية والوطنية والاجتماعية التي من شأنها أن تساعد على تنمية السلوك السوي وتعديل السلوك المنحرف.

5 ـ وسائل الإعلام:

إن لوسائل الإعلام المختلفة دوراً كبيراً في التنشئة الاجتماعية فالإعلام بقنواته المتعددة وأجهزته المختلفة يشارك مشاركة فعالة في هذا المجال بما يقدمه من مضامين دينية وخلقية واجتماعية وتربوية ووطنية وما يجسمه من عروض لقطاعات من مسيرة الحياة بأنماطها المتنوعة والمختلفة، سواء منها ما يتصل بحياة الصغار أم الكبار، ومن أجل هذا وغيره أضحى الإعلام بإمكانياته (التكنولوجية) الحديثة يؤثر بفاعلية في حياة المجتمعات في جميع قطاعاتها بحيث أصبحت له القدرة في تشكيل وتغيير وتوجيه حياته بطريقة مذهلة، وبذلك كان (مدرسة من مدارس الحياة وذلك لأنه يقدم من خلال البرامج والمواقف دروساً في فلسفة الحياة مليئة بالقيم والمعايير وأنماط السلوك، ومن خلال المزج بين الواقع والخيال في برامج الإعلام المختلفة تستطيع أجهزة الإعلام التأثير في قيم الأفراد وأفكارهم واتجاهاتهم ومواقفهم في الحياة بما لا تستطيعه أجهزة التعليم النظامي التقليدية، فأجهزة الإعلام تستطيع مساعدة الكبار والصغار على السواء في فهم عالمهم والتكيف مع متطلبات هذا العالم)[20].

6 ـ القدوة الحسنة:

إن القدوة الحسنة من أهم الوسائل الناجحة في مجالات التنشئة الاجتماعية فالإنسان يتأثر في سلوكه ويؤثر بهذا الأسلوب، وهذا الأسلوب لا يقتصر تأثره على الأفراد بل له تأثير على حياة المجتمعات، فالمجتمعات تؤثر وتتأثر بعضها ببعض، فالدولة النامية تقتدي بالدولة المتقدمة وتحذو حذوها من أجل الوصول إلى الغايات والأهداف المنشودة.

فالقدوة الحسنة من شأنها أن تطور في حياة الفرد والجماعة، فالطفل يلجأ إلى الاقتداء بأساليب أفراد أسرته كما يقتدي بطريقة معلمه، ومن هنا ينبغي أن

---

(20)د. صلاح الدين جوهر (حوليات كلية التربية)، مرجع سبق ذكره، ص 47.

يكون السلوك الشائع في الأسرة والمدرسة والشارع ووسائل الإعلام هو السلوك المرغوب اجتماعياً ليمتص الطفل والتلميذ والطالب في هذه المرحلة العمرية القيم والمثل والعبر التي من شأنها أن تبني وتؤسس الشخصية الاجتماعية والبناءة على أن تشرب هؤلاء وغيرهم لتلك القيم لا يكون عن طريق (الوعظ والإرشاد بقدر ما تتوافر عن طريق المثال الصالح، ولهذا كان من الضروري أن يوضع الولد تحت رعاية الأخيار من المعلمين وغيرهم شريطةَ أن يكونوا موضع محبته واحترامه فلا يلبث أن يقتدي بهم ويأخذ عنهم الشيء الكثير من طباعهم ومناهجهم في الحياة[21].

7 ـ إن لجماعة الأقران الذين يماثلونه في السن والعقل والميل أثراً كبيراً في نقل العادات والتقاليد الاجتماعية وأنماط السلوك المختلفة، فهم يتأثرون بأفكار وآراء بعضهم البعض سواء بالإيجاب أم بالسلب.

---

(21) د. جورج شهلا، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، بيروت، دار العلم للملايين، سنة 1982 م، ص 181.